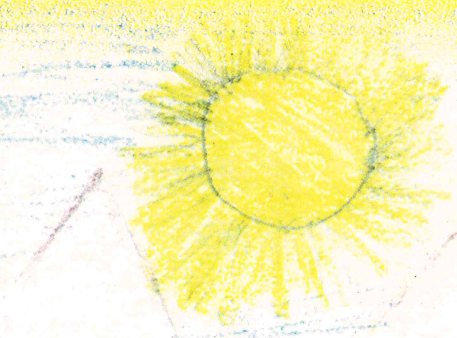

٧

الحلم أصبح حقيقة

أمينة خلف

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

F
KHA
C.6.

الحلم أصبح حقيقة

تأليف ورسومات :

أمـــينة خلف

مكتبة مؤسسة تامر
Class # رقم التصنيف
Serial # 6139 رقم التسلسل

الاسم : أمينة خلف

العمر : ١٢ سنة

الصف: السادس

المدرسة: برقين الاعدادية

البلده : جنين

F
KHA
c.6,

إهداء

إلى كل طفل فلسطيني وعربي تاه وشرد من شدة الظلم والقهر، وأبعد عن وطنه وأهله وأصبح غريباً في أرض الله الواسعة.

الى كل طفل عجز القاموس عن ايجاد الكلمات لوصفه: لاجيء، نازح، مهجر، مشرد...إبن شهيد، إبن سجين، إبن معتقل، إبن محجوز، إبن مفقود، إبن جريح، إبن معاق...

إلى كل طفل حلم بأن يعيش كأطفال العالم بين والديه وأهله وعلى أرضه يحلم بالمستقبل، يتعلم، ويلعب، ويبني بيتاً، ويشارك شعبه في بناء وطنه.

إلى كل الحالمين بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد أهدي هذه الحكاية.

حكاية جدي

التصقت كثيراً بجدي خلال زيارتي الصيفية إلى بلدي،حيث كان والدي يحدثني عن أهلي وأرضنا وفلسطين ويقول لنا:"لما تكبروا رايحين تفهموا علشان تكملوا المشوار".

حدثنا جدي كثيراً عن طفولة أبي الذي عاش ضمن أسرة متوسطة الحال وكيف كان جاداً ومجتهداً ونشيطاً وكيف كان يقضي طيلة فرصة الصيف في العمل داخل الارض والزراعة وينام هنا.

وكان يقول لي جدي:"ياسيدي هذه الشجرة كنا نجلس أنا وجدتك رحمة الله عليها نتناول الطعام تحتها عندما بنينا تلك السلاسل وجمعنا هذه الرجوم الحجرية من الارض".

وكنت أحدق في وجهه فإذا الدموع تنزل من عينيه فقلت له:"يا جدي لماذا تبكي؟" قال:"أبكي على جدتك التي لم تَراكُم ولم تر هذه الأرض عندما اثمرت، أبكي يا سيدي على أيام الشباب، ياليتني ما زلت شاباً وأستطيع أن أعمل أكثر من هذا وأعمّر باقي الأرض".

وتابع جدي قوله: "هناك في تلك الغابة البعيدة كان عز الدين القسام". فسألته: "من هو عز الدين القسام؟" فقال لي: "عز الدين القسام هو شيخ جليل قاد الثورة ضد اليهود والانجليز من أجل حماية الأرض المقدسة ولكنهم تآمروا عليه يا سيدي".

وبعد أسبوع أخذنا جدي إلى (العمارة الشرقية) وقال:"يا سيدي هذه الأرض ورثتها عن أجدادي وهنا حدثت معركة (٤٨) بيننا وبين اليهود ودافعنا عنها حتى جاء الجيش العراقي وطرد اليهود من هذه البلاد ووصل العفولة ولكن الخيانات العربية تآمرت عليه وسلموا البلاد".

"وهنا كذلك حدثت حرب ١٩٦٧ بين الجيش الاردني واليهود وتآمروا على الأحرار في الجيش الاردني وسلّموا باقي البلاد. يا جدّي، "الخيانات قتلتنا ولكن بقينا نحن هنا كالزيتون". وأسمعني جدّي قصيدة شعر عن الجيش العراقي، ولم أحفظ منها شيئاً.

أصبحت أتشوق لكلام جدي وكل يوم يحدثنا بقصة عن الماضي والتاريخ ويقول: "يا سيدي التاريخ المكتوب كله مزيف. الحكام أشبعونا كلام، وأنا أريد أن أقول لكم، في ناس بتبني الوطن وفي ناس (بتّاجر) بالوطن. وأنتم من أي نوع ياسيدي؟ "طبعا يا جدي نحن من بناة الوطن!". رد علينا: "ان شاء الله".

وزاد في كلامه وقال:"شايفين جارنا أبو زياد أصيب في حرب ١٩٤٨ خلال الدفاع عن الوطن، بعض الناس احترموه واعتبروه مجاهداً، وبعضهم يضحك عليه ويسمونه (الأعرج) لأنه بقي فقيراً طيلة حياته. وتجار الوطن اعتبروه مثلاً للمناضلين بأن المناضل ليس له الا الفَقْر أو الشهادة. والآخرون يحصدون نضاله ويبنون لهم تاريخاً مزيفاً، ويصفق لهم الجميع من أجل اموالهم وجاهاتهم وليس لنضالهم واستقامتهم، والله يكون في عونكم عندما تكبرون كيف سيصبح هذا المجتمع وهذا الزمان؟!".

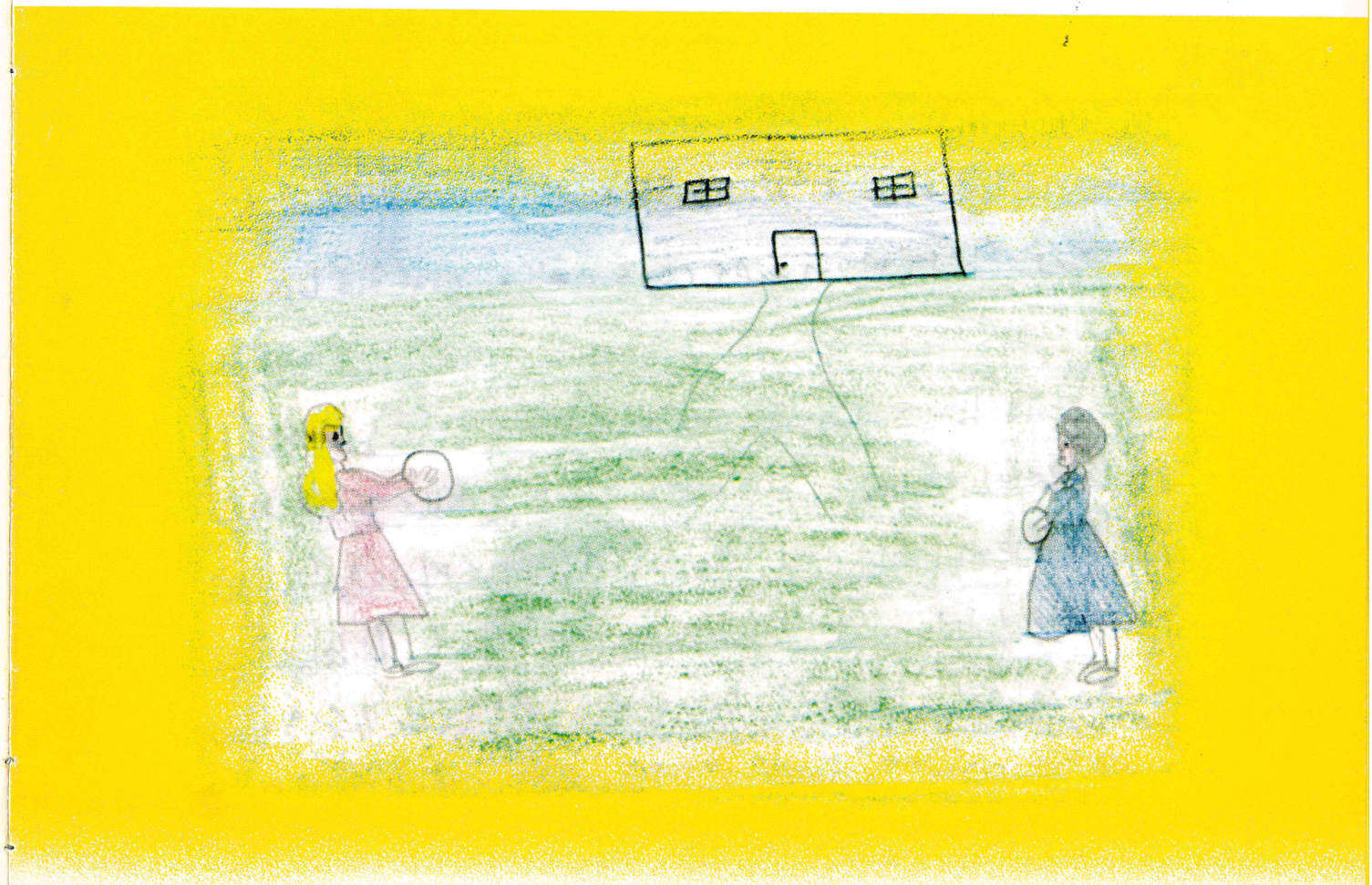

حكايتي في عمان

كان والدي يبعث أمي لكي تلد في الوطن من أجل حمل شهادة ميلاد الوطن. وكان والدي يتحدث مع أمي كثيراً عن ذكريات لبنان ولم أتذكر منها سوى أنه كان فدائي. ولكنه كان يُحَدّث كل من يزور بيتنا بأنه يعمل صحفي وكنا نعيش في هدوء ومرح. وفي إحدى الايام بينما كنت ألعب مع بنت جيراننا "ندى" أمام المنزل. وكانت أمي تجلس مع جارتنا. تُلَفّان ورق العنب. فإذا بثلاثة أشخاص ومعهم والدي مقيد الأيدي أمام المنزل. حضرت والدتي وفتحت الباب واستفسرت منهم ماذا يريدون فقالوا لنا جميعا،"إجلسوا على الكراسي"، وبقي معنا شخص. بينما قام الإثنان بتفتيش البيت ووضعوا أيديهم في كل شيء وعندما خرجوا ووالدي معهم مقيد قالوا لأمي: "نحن مخابرات أردنية وزوجك مطلوب لدينا لأنه فدائي".

أخذت أمي تبكي وقامت بالاتصال بخالي الذي حضر من عمله بسرعة وأخذنا الى منزله وعشنا عنده. وبعد شهر ونصف تقريباً اتصلت بنا المخابرات وقالت لامي:"لك زيارة لوالدي". فذهبت أنا وأمي وزوجة عمي لزيارته ودخلنا على المخابرات. وجلسنا على الكراسي. وكان فيها ثلاثة. أشخاص. وبعد دقائق أحضروا والدي الذي جلس على كرسي ولم يسلم علينا. أنا لم أعرفه لأن شكله كان غير طبيعي. وأتذكر بعض الكلمات حيث حاول رجل المخابرات

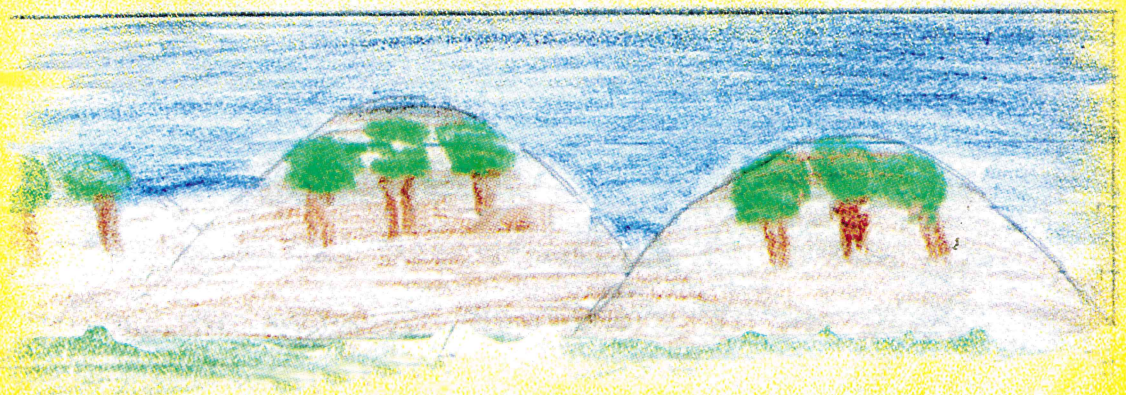

الاردني أن يعرف بعض الاشياء من أمي ولكن أمي لا تعرف شيئا وثار أبي وقال لهم: "زوجتي ليس لها أية علاقة والكلام يدور معي وليس معها". فقالوا له: "إعترف وتخرج حالاً، مش حرام عليك تشتّت أولادك وزوجتك، رايحين يضيعوا". فَرَدّ والدي عليه بقوله: "الرجال تأتي بالقلوب وليس القلوب تأتي بالرجال، أما بالنسبة لزوجتي وأولادي رزْقهم على الله وما أنا إلا وسيلة عيشهم فإذا ذهبت يخلق الله وسيلة أخرى لعيشهم".

وخلال ذلك أحضروا الشاي فطلب والدي منا مغادرة المكان ورفضنا شرب الشاي وانتهت الزيارة.

وبعد مدة خرج والدي من السجن وطُلِب منه مغادرة الأردن، وهنا بدأت لنا قصة جديدة.

حكايتي مع الغربة

طلب والدي منا أن نذهب إلى أبو ظبي عند أخوالي وعندما يستقر في مكان سوف يدعونا لننضم إليه. وغادرنا إلى أبو ظبي وترك والدي الأردن، وبقينا ننتظر منه الإتصال ولكن لم نعرف أين ذهب ، وكانت أمي حامل. مكثنا في أبو ظبي سبعة أشهر ولم يتصل والدي بنا بل كان شخص آخر يتصل بنا كل شهر ويقول لنا بأنه بخير ولا يستطيع الإتصال بكم وأي شيء تحتاجونه أبعثه لكم. وبقينا على هذه الحال وحان موعد ولادة أمي فقررت العودة إلى فلسطين من أجل الإنجاب، وفعلاً رجعنا إلى فلسطين وبدأت معاناتنا مع المخابرات الاسرائيلية مثل كل فلسطيني. وبعد مدة خرجنا إلى الأردن من أجل معرفة مكان والدي ولكن بعد يومين علمنا بوفاة جدي (والد أمي) فعدنا مرة أخرى إلى فلسطين ومن ثم إلى الأردن حيث بدأت معاناة أخرى حيث رفض الأردنيون تسجيل المولود الجديد في جواز السفر. وفي هذه الأثناء إتصل والدي وأخبرنا بأنه في العراق وعلينا الذهاب الى العراق. وبقينا في العذاب مدة شهرين في الأردن من أجل تسجيل المولود والسماح لنا بمغادرة الأردن وفي هذه الفترة قمنا ببيع أثاث المنزل والسيارة في الأردن وبعد جهد جهيد وصلنا العراق وذهبنا إلى بيتنا الجديد. وبدأت أبحث عن أصدقاء جدد.

حكايتي في العراق

انتقلت من جو الأردن إلى جو العراق، وبكيت كثيراً على فراق أصدقائي وأهلي إذ كان والدي منهمك في عمله يخرج صباحاً ويعود بعد منتصف الليل وكثيراً ما يسافر للخارج فجأة.

وبعد أسبوع حضر عمي د٠وجيه وعائلته من الكويت لزيارتنا، وعشنا في العراق ما بين الفرح والخوف حيث كانت تسقط الصواريخ الايرانية على العراق التي كانت تهز كل المباني.

وفي ذلك الوقت عرفت بأن والدي يعمل مع الأخ ابو جهاد، ذلك القائد الذي لا يُنسى، ذلك الرجل المتواضع الضحوك الجميل الذي تحلف الجماهير بحياته، وتعرفت على أصدقاء جدد: آثر ومحمد وعلي وخليل، وبدأت حياتنا تستقر. وبين الفرح والخوف قضينا سنة في العراق، حيث زرنا حديقة الحيوانات ومناطق أخرى إلى أن جاء ذاك اليوم المشهود الذي لا ينسى. في تلك الليلة المشؤومة، وبعد منتصف الليل حضر أصدقاء والدي وزوجاتهم وفوجئنا بهم وبدأت أمي تسأل: "ما الخبر؟" وكان الجميع يبكي، "ماذا حدث لزوجي هل استشهد؟". فالتصقوا بأمي التي بدأت تبكي وتلح بالسؤال . فقالوا: "الأخ أبو جهاد استشهد، ومعه ثلاثة أشخاص لا نعرف أسماؤهم ومن المحتمل أن يكون زوجك بينهم".

فكانت المصيبة كبيرة، قائد مستشهد وأقرب الناس علينا لا نعرف

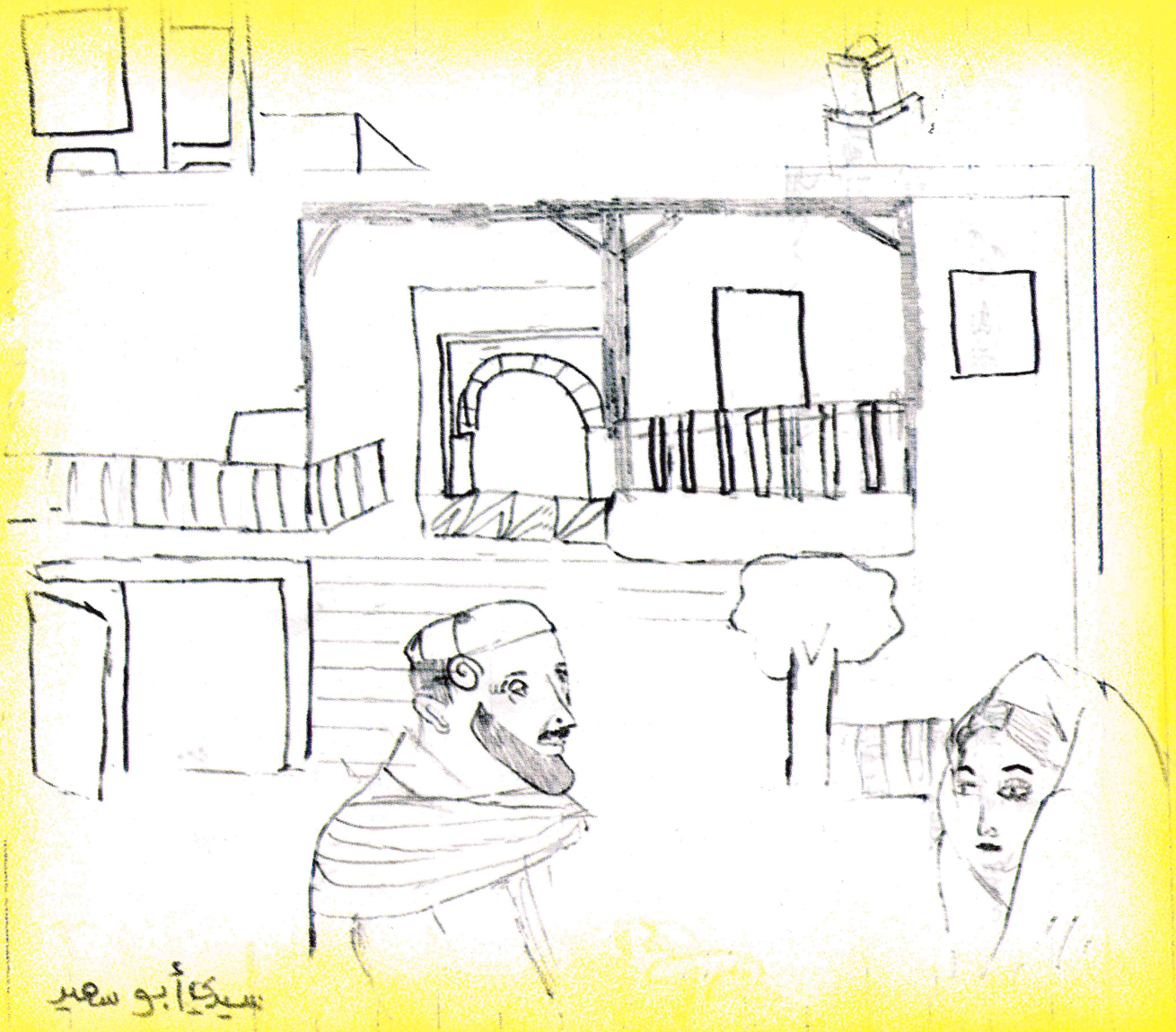

سيدي أبو سعيد

مصيره، وكان أغلب الظن أنه استشهد. وبقينا طيلة الليل ننتظر الخبر حيث انتقلنا جميعا إلى منزل أبو جهاد. وعند الظهيرة اتصل بنا شخص من تونس وقال أن والدكم بخير ولم يكن في المكان في وقت الحادث.

ولكن لم يصدق أحد حتى المساء جلي الخبر. ولكن المصيبة بقيت كبيرة. وبعد عدة أيام إتصل والدي وقال: "أنا حاضر لطرفكم وعليكم تهيئة أنفسكم لمغادرة العراق". فقمنا بتصفية المنزل وسافرنا إلى أبو ظبي مرة أخرى ومن هناك إلى الكويت حيث مُنعنا من دخولها ومنها إلى تونس.

حكايتي في تونس

وصلنا تونس ونزلنا في بيت عمي غسان وعمي كمال لمدة أسبوع. ثم إنتقلنا إلى منزلنا حيث بدأت بحياة جديدة. لا أصدقاء ولا أهل. "ما هذه الحياة؟" سألت والدي فردَّ علي: "عليكم بالصبر هذا هو قدرنا!" وسارت الحياة في تونس. وانتقلت إلى المدرسة وبدأت مع أصدقاء جدد. وجيران جدد. ولكن الجيران تبدلوا عدة مرات بسبب التنقل من منزل إلى آخر. ولكن والدي عوَّض علينا الغربة من خلال زيارة حديقة الحيوانات والبحر والألعاب الجميلة في البحر. حيث خصّص لنا يوماً في الاسبوع للرحلات. كما زرنا الرئيس أبو عمار والتقطنا معه الصور الكثيرة. كما وأتذكر بأننا في كل عيد كنا نذهب إلى مقبرة الشهداء لقراءة الفاتحة على أرواحهم وكنا نرافق والدنا إلى هناك.

بدأت الانتفاضة في فلسطين وشاهدنا صورها على التلفزيون وكان والدي يأتي بأخبارها يوماً بيوم، إلى أن جاء يوم ولادة أمي فقررنا العودة إلى فلسطين من أجل الإنجاب وفرحنا جميعاً لأننا سنلتقي مع جدي وأهلنا في فلسطين وبدأت الرحلة.

وهذه حكايتي التي رويتها لوالدي حين عدت من فلسطين لتونس فكتب على لساني ما شاهدت في فلسطين وترجمت إلى عدة لغات منها الانجليزية والفرنسية والأسبانية وكانت بعنوان "أطفال العودة يعانقون أطفال الانتفاضة"، من الشتات والمنافي، من الصحاري والمنافي، من الصحاري والرمال المتحركة، من وسط الألغام والأسلاك الشائكة، من الزنازين والسجون، والمطارات، ما بين البحار والمحيطات، من آلام المعاناة، عبر الحدود المصطنعة والكيانات الممزقة، وظلام الغربة القاتلة ورغم كل الصعاب والعراقيل، رغم أنف المتآمرين والمتعاونين، رغم حراس الحدود وحماة الديار، قررنا العودة إلى أرض الوطن، ونقسم القسم لأطفالها وشبابها ولنسائها وشيوخها، ولمدنها ولمخيماتها ولسهولها وجبالها، لروابيها وبياراتها طالبين المغفرة والثواب حقاً.

وبدأت الرحلة تشق طريقها بابتسامة الفرح، ابتسامة الشوق والحنين للأهل وسط الدموع، وكانت أمي التي انغمس كلامها بأحشائها، تريد التحدث معنا وتقول عليكم السكوت والهدوء عند الحدود مع اليهود، فلم تستطع ذلك لأننا تعلمنا كثيراً: فلسطين وطننا، أبو عمار قائدنا، والنصر لنا...الخ.

وبدأت أمي تعلمنا بعض الكلمات: "إذا سألوكم اليهود عن والدكم فقولوا لهم بأنه يعمل في الزراعة". ولكنها لم تثق بنا. وفي الأردن عند الجسر قامت أمي بإعطائنا منوم حتى نقطع الجسر ونصل قريتنا. وبعد عناء ومشقة على الحدود. من إجراءات التفتيش والتدقيق والتحقيق عبرنا الجسر بأمان. حملتنا أمنا وساعدها بعض الركاب. وركبنا السيارة متجهين لبلدنا. مارّين بالسهول الخضراء والجبال المتعرجة. عبر المدن والقرى الصامدة المناضلة. والتي زينتها شعارات الانتفاضة وحواجز الملثمين وكلنا فرح. وفخر وإعتزاز بالعودة إلى الوطن والأصل.

وصلنا قريتنا. حيث استقبلنا الاهل. بل القرية بأسرها. لم نصدق أنفسنا بأننا في أرض محتلة. رأيت القرية فيها ملثمين خالية من الاحتلال. والشعارات تملأ الجدران. والأعلام الفلسطينية مرفوعة في كل مكان. والملثمون واللجان الشعبية يديرون شؤون القرية وواجباتهم. والقرية كلها أسرة واحدة متكاملة. ومكثنا في فلسطين خمسة أشهر تقريباً. لم نشعر بمرورها وكأنها يوم واحد .وأنجبت أمي طفلاً وسجّلناه في سجلات الوطن. ليكون شوكة في حلق العدو. إصراراً على مواصلة الطريق. وكنا نخرج إلى الشوارع نلعب ونلهو. شاهدنا كل صغيرة وكبيرة حدثت هناك.

حيث رأيت الملثمين هناك يلقون الحجارة على الجيش الذي ابتعد وأخذ يطلق الرصاص. فأخذت أرتعد من الخوف ودموعي تنهمر. بعد ذلك غادر الجيش المنطقة واقترب الملثمون مني وحملني أحدهم واشترى لي حلوى . بينما

الآخرون يكتبون الشعارات على الجدران، وآخرون يضعون الحجارة في الشوارع.

سألت عن أختي التي ابتعدت عني فإذا هي في المنطقة التي كان يتم فيها رمي الحجارة على الجيش، وبما أن عمي كان مع الملثمين حملها وأعادها إلى المنزل.

في اليوم التالي، كان الجو يسوده الهدوء فخرجنا للدكان لنشتري، وإذا بالجيش يحضر فجأة، ودارت الحرب بينهم وبين الناس والملثمين وعلى بعد عدة أمتار مني، حيث التصقت بحائط الدكان. سقط شهيد وكانت الدماء تسيل من رأسه وصدره، ارتعدت خوفاً ولم أعرف ماذا أفعل سوى التصاقي بالحائط.

وبعد مغادرة الجيش حضر الملثمون بعرض عسكري وطافوا أنحاء البلد مرددين الهتافات والأناشيد الوطنية وكتبوا الشعارات، ووضعوا الحواجز في البلد، وفي هذه المرة لم يستطع الجيش دخول البلد وبقي في الجبال المحيطة بنا.

هكذا بدأت القصة ولم تنته بعد، فأطفال العودة في طريقهم لأطفال الحجار المقدسة، ليضعوا سوياً ملحمة النصر والعودة الأكيدة لفلسطين الحبيبة.

وعدنا إلى تونس وعدنا إلى حياتنا هناك ومرّت أحداث كثيرة أذكر أهمها ومازالت راسخة في ذهني، ضرب العراق وكيف كان والدي يردد "أين العرب أين الاسلام؟". وفي نفس الفترة أتذكر استشهاد أبو إياد وأبو الهول وسمعت الرصاص الذي أُطلق عليهم عندما كنا نسمع أخبار التلفزيون الساعة ١١

ليلاً، والمؤامرة علينا مستمرة.

وبدأت الحياة تسوء علينا في تونس! لا عمل ولا معاش، ولكن دائماً كان يقول أبي "الصبر مفتاح الفرج".

إلى أن تمّ الاتفاق بين الفلسطينيين واليهود وبدأت رحلة العودة للوطن، وفعلا تحققت حتمية العودة والنصر والتحقنا بمدارسنا وعشنا بين أهلنا ولكن مازلنا ننتظر أصدقاءنا في تونس والخارج الذين لم يعودوا بعد، وعندما أسأل أبي "متى يعودون؟" يقول "مازلنا في بداية الطريق وكما ربنا يريد".

حكايتي في الوطن

فرحنا بالعودة واستقبلنا الاهل والجميع بفرح وبدأنا بأصدقاء جدد وحياة جديدة ولكن للأسف مازال قلة قليلة لا يريدون الخير لهذا الوطن حيث يمزقونه إما بالكلام وإما بالفعل السيء وفعلا مثل ما قال جدي " ناس بدها الوطن وناس بدها تّاجر بالوطن".

واليوم تفاجأت بقدوم صديقتيّ لميس ولارا من تونس وابنتي عمي كمال والخالة فاطمة.

هذه الحكاية

حلمتُ بأن أكون كاتبة لأعبر عن أحلامي وطفولتي، وعن رحلتي التي تميزت بالألم والمعاناه والشوق للوطن والحنين له ولمسقط رأسي وأجدادي وأرضي الخضراء.

"وكتابي الأول"، تلك المسابقة التي ترعاها مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي فتحت لي المجال لأن أدخل لعالم التعبير عن المعاناة والحلم من خلال كلماتي، فأخذت قلمي وورقي وبدأت أعبر عن حلمي في المنافي.... ومع إدراكي أنني لن أكون مبدعة من أول محاولة، إلا أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة (وشمعة في الظلام خير من لعن الظلمة ألف مرة).

وهذه حكايتي .....

F
KHA
C.6.

تاريخ الإعادة Date Due		

©حقوق الطبع محفوظة
مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي
ص.ب ١٩٧٣
رام الله، فلسطين

الطبعة الأولى، نيسان ١٩٩٨

تصميم وتنفيذ: مؤسسة الناشر للخدمات الفنية، رام الله، هاتف ٩٩٨٦٣٨٧ – ٠٢.

سلسلة كتابي الأول

منذ بداية عملها أولت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي أهمية خاصة للتعبير بكافة أشكاله وصوره وعلى الأخص التعبير الكتابي كوسيلة للتعبير عن وتدوين الخبرات الذاتية والفردية والجماعية. ولقناعتنا بأن هذه الخبرة يمكن إكتسابها وتنميتها منذ الطفولة ولتشجيع الأطفال على التعبير الكتابي الإبداعي، فقد إرتأت المؤسسة وضمن فعاليات أسبوع القراءة الوطني لعام ١٩٩٥ طرح مسابقة (كتابي الأول) دعت فيها الأطفال من عمر ٨ إلى ١٤ عاما لكتابة سيرهم الذاتية وما تتضمنه من خبرات وتجارب خاصة، وقد استجاب لهذه المسابقة عدد من الأطفال والفتيان والفتيات.

ولم تكن هذه المسابقة لتأخذ طابع المسابقات التقليدية (سؤال وجواب، أو إختيار الفائز/ة الاول/ى فالثاني/ة ... وهكذا) بل كانت فكرتها إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن ذواتهم بلغتهم الخاصة ورسوماتهم وأن يثبتوا لأنفسهم قبل الكبار بأنهم قادرون لا اتكاليون، منتجون لا مستهلكون.

تزداد قناعتنا يوما بعد يوم بروعة وحجم القدرات الكامنة لدى الأطفال والفتيان والفتيات التي تحتاج إلى توفير أجواء تساعدهم على تطويرها. ونستغل هذه الفرصة لدعوة جميع الأهالي والمؤسسات التعليمية وجميع العاملين مع الأطفال التركيز على هذا البعد الحيوي في تطور شخصية الطفل وهو النمو اللغوي والتعبير الكتابي.

وتقديرا لهذا الانتاج، تقرر نشر أفضل هذه المساهمات في سلسلة كتابي الأول التي تجدونها بين أيديكم ونأمل أن نستمر برفد هذه السلسلة من خلال مسابقة كتابي الأول التي سوف تنظم كل سنة بمناسبة أسبوع القراءة الوطني.

صدر من هذه السلسلة:

١٩٩٧:

١- قطتي النغنوشة
٢- مشيئة الله
٣- الصوص المحبوب
٤- عشر سنوات من عمري
٥- أحلى الايام وحياة شابة

١٩٩٨:

٦- قصة حياتي
٧- الحلم أصبح حقيقة
٨- طفولتي
٩- فجر الحرية
١٠- رحلاتي ومسيرة حياتي